

تفسير ابن كثير

قال مجاهد { والشمس وضحاها } أي وضوئها وقال قتادة { وضحاها } النهار كله قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار { والقمر إذا تلاها } قال مجاهد : تبعها وقال العوفي عن ابن عباس { والقمر إذا تلاها } قال : يتلو النهار وقال قتادة : إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر وقال مالك عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر وقوله تعالى : { والنهار إذا جلاها } قال مجاهد : أضاء وقال قتادة { والنهار إذا جلاها } إذا غشيها النهار وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها .

(قلت) ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى { والنهار إذا جلاها } أي البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى : { والليل إذا يغشاها } فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد { والنهار إذا جلاها } إنه كقوله تعالى : { والنهار إذا تجلى } وأما ابن جرير فاختر عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله تعالى : { والليل إذا يغشاها } يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الافاق .

وقال بقية بن الوليد عن صفوان : حدثني يزيد بن ذي حمادة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادي خلقي العظيم فالليل يها به والذي خلقه أحق أن يهاب رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى : { والسماء وما بناها } يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة : ويحتمل أن تكون بمعنى من يعني والسماء وبنائها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى : { والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون } وهكذا قوله تعالى : { والأرض وما طحاها } قال مجاهد : طحاها دحاها وقال العوفي عن ابن عباس { وما طحاها } أي خلق فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : طحاها قسمها وقال مجاهد وقاتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد { طحاها } بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة قال الجوهري : طحوته مثل دحوته أي بسطته .

وقوله تعالى : { ونفس وما سواها } أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى : { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله } وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ [أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] وقوله تعالى : { فألهمها فجورها وتقواها } أي فأرشدها إلى فجورها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها قال ابن عباس { فألهمها فجورها وتقواها } بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا عزرة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين : أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشياء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضي عليهم قال : فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال : ففزعت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال : سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك [إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشياء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : بل شيء قد قضي عليهم قال : ففيم نعمل ؟ قال : من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها وتصدق ذلك في كتاب الله تعالى : { ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها } [رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به . وقوله تعالى : { قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها } يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة : وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى : { قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى } { وقد خاب من دساها } أي دسها أي أخلها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله D وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو بن هشام عن جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله D : { قد أفلح من زكاها } قال النبي صلى الله عليه وسلم : [أفلحت نفس زكاها الله D] ورواه ابن أبي حاتم من حديث مالك به و جوبير هذا هو ابن سعيد متروك الحديث و الضحاك لم يلق ابن عباس وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية { ونفس وما

سواها * فألهمها فجورها وتقواها { وقف ثم قال : [اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها] .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ { فألهمها فجورها وتقواها } قال : اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها] لم يخرجوه من هذا الوجه وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقع عليه وهو ساجد وهو يقول [رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها] تفرد به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشيع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها] قال زيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به